إشكالية النص

السؤال هو: من فعل سأل عن الشيء إذ استفسر عنه وطلب معرفة لم تكن حاصلة وقت السؤال، وفي الاصطلاح الأدبي تعني كلمة "سؤال" استحضار مفهوم أو قضية من أجل استنطاقها والكشف عن أبعادها.

الذات: هي النفس وهي خلاف الموضوع المدرك وينظر إليها من وجهتين:

- الأول: يؤكد على طابع الخصوصية الذي يميز الذات عن باقي الذوات الأخرى من حيث الشك واليقين والرغبة والإرادة والإحساس.
- الثاني: يؤكد على نوعية العلاقة التي تربطها بغيرها من الذوات وبالقيم الاجتماعية.

ظهرت حركةُ سؤال الذّات مطلع القرن العشرين كخصم عنيد لحركة البعث والإحياء، مستهدفة ردّ الاعتبار لذات الشّاعر التي همّشها الإحيائيّون مرجعها في ذلك الشّعر الغنائيّ الغربي وموضوعاته المتعلقة بالوجدان والتأمّل في الحياة والارتهان إلى الخيال والهروب إلى الطبيعة والحلول فيها والتفلسف في الوجود والبحث عن قيم مثالية مطلقة للجمال والنقاء والحب بحثا حالما خجولا. ولقد نتج عن سؤال الذات في الشعر العربي الحديث حركة أدبية سميت بالرومانسية قامت على أنقاض إحياء النموذج وقد تميزت بالتأمل العميق في الكون والحياة والطبيعة واتجهت بمضمون القصيدة الحديثة اتجاها وجدانيا. وانقسم تيّار سؤال الذّات إلى ثلاثِ جماعات مشهورة هي:

- جماعة الديوان: شعراؤها هم محمود عباس العقاد، وعبد الرحمان شكري، وإبراهيم عبد القادر المازني.
- تيار الرابطة القلمية: أهم رواده هم: إيليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران، ومخائيل نعيمة.
- جماعة أبولو: وتضم أحمد زكي أبو شادي، وأبو القاسم الشابي، وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي...

لقد اهتم التيار الرومانسي بالذات والوجدان وتمثل عوالم الأحلام والخيال والطبيعة وفر شعراؤه من المشاكل التي يعيشها المجتمع العربي، وعبروا عن ذواتهم، وخرجوا على القصيدة العربية القديمة شكلا ومضمونا. وقد رافقت ظهور هذا التيار وتطوّرهُ دراساتٌ نقديّة موازية استفادت من النقد الغربيّ ومناهجه، وحاولت تقديم مفهوم جديدٍ للشّعر ولوظيفته مختلفا عن التصوّر التقليدي، متكئا على طبيعة الشّعر الرومانسيّ وسماته الشّكلية والمضمونيّة. وقد اشتهر نقّاد كثر عرضوا لتيار سؤال الذات كمحمد غنيمي هلال، وعبد القادر القط، وعبد المنعم خفاجي، وعبد المحسن طه بدر (1932- 1990) بمنهجه القائم على الرصد التاريخي والمنهج الاجتماعي، من مؤلفاته "دراساتٌ في تطور الأدب العربي الحديث" الذي منه هذا النص. فما القضية التي يطرحها؟ وما طرائق عرضها؟

فرضيات القراءة

بتأملنا عنوان النّصّ "الشّعر الرّومانسيّ" نجده تركيبا اسميا من مبتدأ ونعتِه، فيما الخبر مدفون في النص. أما من حيث الدّلالة فالشعر هو ذاك الجنس الأدبيّ القائم على إيقاعٍ، الخاضع لبناء معيّن، المستند على مقوماتٍ جمالية خاصة، أما "الرّومانسيّ" فهو تحديد لطبيعة هذا الشعر ونوعِه نسبةً إلى الرومانسية التي تنعتنى بالذات وتهتم بالوجدان وتثور على التقليد والمعيارية، وتنشد الانطلاق والحرية. ومِن خلال العنوان وشكل النّصّ، وبعض المشيرات النصية الدالة من قبيل (أن يخلُصوا ذات الشاعر، قوة إحساسه الذاتي، شعراءُ مدرسة الديوان، تبنّي التراث الغربي...) نفترض أنّ النص النظري الذي بين أيدينا يتمحور حول نقد خطاب سؤال الذات، ورصد أهم إنجازاته وإخفاقاته. فما أبعاد هذا النقد؟ وما المفاهيم المؤطرة له؟ وما منهجية الكاتب في معالجة الموضوع؟

تحليل النص

المعجم

حقل الإحياء	حقل الرومانسية
الشاعر الإحيائي – التراث الشعري – التضحية بالذات – شعرا كشعرهم – شعراء المدرسة الكلاسيكية...	الشعر الرومانسي – مدرسة الديوان – شعراء مدرسة أبولو – شعراء مدرسة المهجر – التجديد نفسية الشاعر – قوة الإحساس الداخلي – الثورة الفردية – التجربة النفسية...

رغم تباين الحقلين هناك تداخل في بعض العناصر، فالموقف والفكرة حاضران في إحياء النموذج وفي الرومانسية معا، ومرد هذا راجع إلى كون الرومانسية لم تتمكن من الوصول بالشعر إلى مستوى التجربة، فرغم محاولات التجديد ظل هناك حنين إلى الرجوع تصوير المواقف والانحياز لقوة اجتماعية معينة ولم يستطع الشاعر الرومانسي بلوغ مرحلة التعالي الشعري.

قضايا النص وإشكالاته

طرح النص إشكالية رئيسية تمثلت في مفهوم الشّعر عند الرومانسيّين المؤسس على وظيفة تنحصر في التعبير عن الذّات، ورفض التقليد والمحاكاة، وبعد اختيار الكاتب إنجازات ممثلي حركة سؤال الذات انتهى النص إلى أن ثورتهم نسبيّة؛ فلا هم انفصلوا عن التّراث العربي انفصالا تاما ولا هم نجحوا في تقليد التّراث الغربيّ ، والسبب في ذلك اندفاعهم وحماستهم وضبابيّة الرّؤية التي صدَروا عنها، وعجزهم عن التمثيل الصحيح لروح التيار الذي يبشرون به.

وللوقوف على تداعيات القضيّة الرئيسيّة وتقليبها على أوْجهها المختلفة ، ناقش الناقد جملةً من القضايا المتفرّعة عنها وأهمّها:

- قضيّة التقليد بوجهيه: تقليد الرّومانسيين للشعر الغربي، وتقليد الإحيائيين للنموذج القديم؛ مما يضعهم حسب المقياس النقدي للكاتب في سلة واحدة، وإن كان الإحيائيّون نجحوا في مشروعهم بينما تخبط الرومانسيون العرب في محاولاتهم استنساخ الرومانسية الغربية.
- الثورة على القديم: وتمثلت في رفض الرّومانسيين للتراث الشّعريّ العربي في جانبه المضمونيّ ، وعدم تجرئهم على الجوانب الأخرى خاصة الموسيقى.
- خصائص الشّعر الرّومانسيّ: حيث ناقش الكاتب بعض ملامح حركة سؤال الذات على مستوى التجديد في المضامين والموضوعات، ونوع من التركيز على المشاعر تركيزا طبع المعجم والصورة بفيوض عاطفية لم تتخلص من انعكاسات الإشراقات القديمة، وأوغلت في عوالم حالمة وخجولة انتهت إلى الهروب إلى عالم الغاب الطاهر الجميل الطوباوي، واللوذ بامرأة ملاك مثالية بدون ملامح واقعية، مما أفسد عمق التجربة التي شط فيها الخيال عن الواقع.

طرائق العرض

استعان الكاتب في مناقشة فِكرَتِه بمجموعة من طرائق العرض فاعتمد "المقارنة" بين الرّومانسيّة التي تولي اهتماما للذّات والإحيائية التي تخضع لقوّة خارجيّة ، ولعل الهدف من هذه المقارنة بيان الاختلاف بين المدرستين ، والتنصيص على تميّز المدرسة الرّومانسية على مستوى المفهوم والأدوات الإبداعية، واعتمد الاستشهاد (الاستشهاد من شعر علي محمود طه ومن رأي نقدي لميخائيل نعيمة) ، وهي طريقة مسعفة في تدعيم الفكرة وتقوية الوظيفة الإقناعيّة.

ونهج الكاتبُ طريقةً أخرى تمثلت في افتراض فرضيات وإثبات صحّتها ، فقد افترض أنّ ثورة الرّومانسيّين نسبيّة ، وأثبت ذلك بفشلهم في تقليد الشّعر الغربيّ والتّجديد الكلّي في المضمون والشّكل، وإلى جانب ذلك توسل بمنطق التفسير والتعليل والاستدلال فاسترسل في عمليات تحليلية تربط المحمولات المنطقية بعضها ببعض وتربط المبدأ النقدي بإجراءاته التطبيقية بشكل يقوي واقعية الاستدلال وموضوعيته. وقد طبّق هذا الأسلوبَ في عرضه لإنجازات وإخفاقات شعراءِ الرّومانسيّة. واعتمد الأسلوب الاستنباطيّ، حيث أشار أولا إلى أهمّ مدارس الرّومانسية وشعرائها. وانتقل بعدها إلى إبراز الفرقِ بين الشّعر الرّومانسيّ والشّعر الإحيائيّ، ثم عرج على خصائص المدرسة الرّومانسيّة، منتهيا إلى إقرار نسبيّة ما حقّقته حركة سؤال الذات من تجديد. وتكمُن أهمّية الأسلوب الاستنباطيّ في طرح الحكم ثمّ تفصيله، ثمّ بناء الاستنتاج بالتدرّج الذي لا يعدو أن يكون تثبيتا للحكم المطروح، وهو منهج علمي يقود إلى الفهم والاقتناع لصرامته المنطقية.

تركيب وتقويم

رام الكاتب في نصه إبرازَ خصائص المدرسة الرّومانسية التي كانت أوّلَ حركةٍ شعريّة ثارت على النموذج الشعري العربي شكلا ومضمونا إلى حد ما، وقد استهدف مساءلة حركة الرّومانسية ونَقْدها، ومن أجل ذلك وظّف جملةً من طرائق العرض المختلفة، ولغة تقريرية مباشرة، ومعجما غنيا يتوزع على حقلي التقليد والتجديد، ومرجعيات يطبعها التعدّد، وأسلوبا استنباطيا، واستشهادات من المنثور والمنظوم، واستدلالات وتمثيلات ومقارنات. وقد نجح الكاتب في توصيف المدرسة الرّومانسية ومحاولتها التجديديّة بين الطموح والمحدودية، وهو ما يقودنا إلى إثبات صحّة الفرضية المطروحة آنفا والتي تربط النص بالدراسة الأدبية النقدية المتأثرة بالمنهج التاريخي الوصفي التسجيلي في مقاربة تيارات الشعر الحديث، والرومانسية بشكل خاص.

Moutamadris.ma

إشكالية النص

السؤال هو: من فعل سأل عن الشيء إذ استفسر عنه وطلب معرفة لم تكن حاصلة وقت السؤال، وفي الاصطلاح الأدبي تعني كلمة "سؤال" استحضار مفهوم أو قضية من أجل استنطاقها والكشف عن أبعادها.

الذات: هي النفس وهي خلاف الموضوع المدرك وينظر إليها من وجهتين:

- الأول: يؤكد على طابع الخصوصية الذي يميز الذات عن باقي الذوات الأخرى من حيث الشك واليقين والرغبة والإرادة والإحساس.
- الثاني: يؤكد على نوعية العلاقة التي تربطها بغيرها من الذوات وبالقيم الاجتماعية.

ظهرت حركةُ سؤال الذّات مطلع القرن العشرين كخصم عنيد لحركة البعث والإحياء، مستهدفة ردّ الاعتبار لذات الشّاعر التي همّشها الإحيائيّون مرجعها في ذلك الشّعر الغنائيّ الغربي وموضوعاته المتعلقة بالوجدان والتأمّل في الحياة والارتهان إلى الخيال والهروب إلى الطبيعة والحلول فيها والتفلسف في الوجود والبحث عن قيم مثالية مطلقة للجمال والنقاء والحب بحثا حالما خجولا. ولقد نتج عن سؤال الذات في الشعر العربي الحديث حركة أدبية سميت بالرومانسية قامت على أنقاض إحياء النموذج وقد تميزت بالتأمل العميق في الكون والحياة والطبيعة واتجهت بمضمون القصيدة الحديثة اتجاها وجدانيا. وانقسم تيّار سؤال الذّات إلى ثلاثِ جماعات مشهورة هي:

- جماعة الديوان: شعراؤها هم محمود عباس العقاد، وعبد الرحمان شكري، وإبراهيم عبد القادر المازني.
- تيار الرابطة القلمية: أهم رواده هم: إيليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران، ومخائيل نعيمة.
- جماعة أبولو: وتضم أحمد زكي أبو شادي، وأبو القاسم الشابي، وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي...

لقد اهتم التيار الرومانسي بالذات والوجدان وتمثل عوالم الأحلام والخيال والطبيعة وفر شعراؤه من المشاكل التي يعيشها المجتمع العربي، وعبروا عن ذواتهم، وخرجوا على القصيدة العربية القديمة شكلا ومضمونا. وقد رافقت ظهور هذا التيار وتطوّرهُ دراساتٌ نقديّة موازية استفادت من النقد الغربيّ ومناهجه، وحاولت تقديم مفهوم جديدٍ للشّعر ولوظيفته مختلفا عن التصوّر التقليدي، متكئا على طبيعة الشّعر الرومانسيّ وسماته الشّكلية والمضمونيّة. وقد اشتهر نقّاد كثر عرضوا لتيار سؤال الذات كمحمد غنيمي هلال، وعبد القادر القط، وعبد المنعم خفاجي، وعبد المحسن طه بدر (1932- 1990) بمنهجه القائم على الرصد التاريخي والمنهج الاجتماعي، من مؤلفاته "دراساتٌ في تطور الأدب العربي الحديث" الذي منه هذا النص. فما القضية التي يطرحها؟ وما طرائق عرضها؟

فرضيات القراءة

بتأملنا عنوان النّصّ "الشّعر الرّومانسيّ" نجده تركيبا اسميا من مبتدأ ونعتِه، فيما الخبر مدفون في النص. أما من حيث الدّلالة فالشعر هو ذاك الجنس الأدبيّ القائم على إيقاعٍ، الخاضع لبناء معيّن، المستند على مقوماتٍ جمالية خاصة، أما "الرّومانسيّ" فهو تحديد لطبيعة هذا الشعر ونوعِه نسبةً إلى الرومانسية التي تنعتنى بالذات وتهتم بالوجدان وتثور على التقليد والمعيارية، وتنشد الانطلاق والحرية. ومِن خلال العنوان وشكل النّصّ، وبعض المشيرات النصية الدالة من قبيل (أن يخلُصوا ذات الشاعر، قوة إحساسه الذاتي، شعراءُ مدرسة الديوان، تبنّي التراث الغربي...) نفترض أنّ النص النظري الذي بين أيدينا يتمحور حول نقد خطاب سؤال الذات، ورصد أهم إنجازاته وإخفاقاته. فما أبعاد هذا النقد؟ وما المفاهيم المؤطرة له؟ وما منهجية الكاتب في معالجة الموضوع؟

تحليل النص

المعجم

حقل الإحياء	حقل الرومانسية
الشاعر الإحيائي – التراث الشعري – التضحية بالذات – شعرا كشعرهم – شعراء المدرسة الكلاسيكية...	الشعر الرومانسي – مدرسة الديوان – شعراء مدرسة أبولو – شعراء مدرسة المهجر – التجديد نفسية الشاعر – قوة الإحساس الداخلي – الثورة الفردية – التجربة النفسية...

رغم تباين الحقلين هناك تداخل في بعض العناصر، فالموقف والفكرة حاضران في إحياء النموذج وفي الرومانسية معا، ومرد هذا راجع إلى كون الرومانسية لم تتمكن من الوصول بالشعر إلى مستوى التجربة، فرغم محاولات التجديد ظل هناك حنين إلى الرجوع تصوير المواقف والانحياز لقوة اجتماعية معينة ولم يستطع الشاعر الرومانسي بلوغ مرحلة التعالي الشعري.

قضايا النص وإشكالاته

طرح النص إشكالية رئيسية تمثلت في مفهوم الشّعر عند الرومانسيّين المؤسس على وظيفة تنحصر في التعبير عن الذّات، ورفض التقليد والمحاكاة، وبعد اختيار الكاتب إنجازات ممثلي حركة سؤال الذات انتهى النص إلى أن ثورتهم نسبيّة؛ فلا هم انفصلوا عن التّراث العربي انفصالا تاما ولا هم نجحوا في تقليد التّراث الغربيّ ، والسبب في ذلك اندفاعهم وحماستهم وضبابيّة الرّؤية التي صدَروا عنها، وعجزهم عن التمثيل الصحيح لروح التيار الذي يبشرون به.

وللوقوف على تداعيات القضيّة الرئيسيّة وتقليبها على أوْجهها المختلفة ، ناقش الناقد جملةً من القضايا المتفرّعة عنها وأهمّها:

- قضيّة التقليد بوجهيه: تقليد الرّومانسيين للشعر الغربي، وتقليد الإحيائيين للنموذج القديم؛ مما يضعهم حسب المقياس النقدي للكاتب في سلة واحدة، وإن كان الإحيائيّون نجحوا في مشروعهم بينما تخبط الرومانسيون العرب في محاولاتهم استنساخ الرومانسية الغربية.
- الثورة على القديم: وتمثلت في رفض الرّومانسيين للتراث الشّعريّ العربي في جانبه المضمونيّ ، وعدم تجرئهم على الجوانب الأخرى خاصة الموسيقى.
- خصائص الشّعر الرّومانسيّ: حيث ناقش الكاتب بعض ملامح حركة سؤال الذات على مستوى التجديد في المضامين والموضوعات، ونوع من التركيز على المشاعر تركيزا طبع المعجم والصورة بفيوض عاطفية لم تتخلص من انعكاسات الإشراقات القديمة، وأوغلت في عوالم حالمة وخجولة انتهت إلى الهروب إلى عالم الغاب الطاهر الجميل الطوباوي، واللوذ بامرأة ملاك مثالية بدون ملامح واقعية، مما أفسد عمق التجربة التي شط فيها الخيال عن الواقع.

طرائق العرض

استعان الكاتب في مناقشة فِكرَتِه بمجموعة من طرائق العرض فاعتمد "المقارنة" بين الرّومانسيّة التي تولي اهتماما للذّات والإحيائية التي تخضع لقوّة خارجيّة ، ولعل الهدف من هذه المقارنة بيان الاختلاف بين المدرستين ، والتنصيص على تميّز المدرسة الرّومانسية على مستوى المفهوم والأدوات الإبداعية، واعتمد الاستشهاد (الاستشهاد من شعر علي محمود طه ومن رأي نقدي لميخائيل نعيمة) ، وهي طريقة مسعفة في تدعيم الفكرة وتقوية الوظيفة الإقناعيّة.

ونهج الكاتبُ طريقةً أخرى تمثلت في افتراض فرضيات وإثبات صحّتها ، فقد افترض أنّ ثورة الرّومانسيّين نسبيّة ، وأثبت ذلك بفشلهم في تقليد الشّعر الغربيّ والتّجديد الكلّي في المضمون والشّكل، وإلى جانب ذلك توسل بمنطق التفسير والتعليل والاستدلال فاسترسل في عمليات تحليلية تربط المحمولات المنطقية بعضها ببعض وتربط المبدأ النقدي بإجراءاته التطبيقية بشكل يقوي واقعية الاستدلال وموضوعيته. وقد طبّق هذا الأسلوبَ في عرضه لإنجازات وإخفاقات شعراءِ الرّومانسيّة. واعتمد الأسلوب الاستنباطيّ، حيث أشار أولا إلى أهمّ مدارس الرّومانسية وشعرائها. وانتقل بعدها إلى إبراز الفرقِ بين الشّعر الرّومانسيّ والشّعر الإحيائيّ، ثم عرج على خصائص المدرسة الرّومانسيّة، منتهيا إلى إقرار نسبيّة ما حقّقته حركة سؤال الذات من تجديد. وتكمُن أهمّية الأسلوب الاستنباطيّ في طرح الحكم ثمّ تفصيله، ثمّ بناء الاستنتاج بالتدرّج الذي لا يعدو أن يكون تثبيتا للحكم المطروح، وهو منهج علمي يقود إلى الفهم والاقتناع لصرامته المنطقية.

تركيب وتقويم

رام الكاتب في نصه إبرازَ خصائص المدرسة الرّومانسية التي كانت أوّلَ حركةٍ شعريّة ثارت على النموذج الشعري العربي شكلا ومضمونا إلى حد ما، وقد استهدف مساءلة حركة الرّومانسية ونَقْدها، ومن أجل ذلك وظّف جملةً من طرائق العرض المختلفة، ولغة تقريرية مباشرة، ومعجما غنيا يتوزع على حقلي التقليد والتجديد، ومرجعيات يطبعها التعدّد، وأسلوبا استنباطيا، واستشهادات من المنثور والمنظوم، واستدلالات وتمثيلات ومقارنات. وقد نجح الكاتب في توصيف المدرسة الرّومانسية ومحاولتها التجديديّة بين الطموح والمحدودية، وهو ما يقودنا إلى إثبات صحّة الفرضية المطروحة آنفا والتي تربط النص بالدراسة الأدبية النقدية المتأثرة بالمنهج التاريخي الوصفي التسجيلي في مقاربة تيارات الشعر الحديث، والرومانسية بشكل خاص.

Moutamadris.ma

إشكالية القراءة

ظهرت حركة سؤال الذات في العالم العربي مطلع القرن العشرين نتيجة عوامل اجتماعية (ظهور الطبقة البورجوازية الصغيرة)، وسياسية (الاستعمار وضعف الطبقة السياسية)، وفكرية (تطلع الجيل الجديد على التجديد)، وثقافية (التبشير بقيم جديدة تعيد الاعتبار إلى الفرد وتسلطه الاداب الأجنبية، خاصة الفرنسية والانجليزية)، كما جاءت تعبيرا عن رد فعل خيال الحركة الإحيائية المزدهرة وخطها التقليدي. ومن سمات خطاب سؤال الذات: الالتفات إلى الوجدان، والاهتمام بالطبيعة، وتطوير وظائف مكونات العمل الأبي لتكثيف نسقه الداخلي، واعتبار الشعر فيضا تلقائيا لمعواطف، والخيال مرتعا للصورة الفنية، والاعتداد بالتجربة الذاتية في صياغة رؤية للحياة والقيم والجمال. ومرجع هذه السمات من شيء من التصوف الديني وتعاليم المسيحية، والنزعات الإنسانية في الادب الغربي، خاصة دعوة الذاتيين إلى المحبة والحرية، وثورتهم الوجدانية على التقاليد الأدبية والاجتماعية والدينية، وتضخيم ظاهرة الغربة وعوالم الحزن والاكتئاب، والحلم بعوالم مثالية كامنة في نقاء الطبيعة وأمرأة ملاك.

والرابطة القلمية واحدة من حركات سؤال الذات، وهي جمعية أدبية أسسها الأدباء العرب المهاجرون في نيويورك عام 1924 برئاسة جبران خليل جبران، وكان ميخائيل نعيمة مستشارا لها، وإيليا أبو ماضي أمينا. استمر نشاطها عشر أعوام. ثم توقف بسبب وفاة مؤسسها وتفرق أعضائها. بنى شعراء الرابطة القلمية روحا جديدة في الأدب العربي، فكان أدبهم صورة للمشكلات الإنسانية، والتأملات الفلسفية، وثورة على المعايير الكلاسيكية، ومخزنا لثقافة واسعة، ونزعات روحانية عميقة. لقد سعى روادها إلى البحث عن معنى جديد للحياة في ظل غربة مزدوجة بحثا تجسد في رفض القديم والتجديد الشعري في المضمون وتطوير الشعر. ومن أعلامها جبران خليل جبران، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة فيلسوف الرابطة (1889 – 1988)، تأثر بأدب التصوف العربي، الشعر الانجليزي (ووردز ورث، وكيتس، وكولريدج، وتشيلي) والروسي (تشيكوف). له مؤلفات في المسرح والقصة والنقد والشعر. منها كتاب نقدي بعنوان (الغربال) وديوان (همس الجفون) ومنه أخذ النص. فما هي مضامين هذه القصيدة ؟ وما خصائصها الفنية ؟ وإلى أي حد مثلت خطاب سؤال الذات ؟

فرضيات القراءة

عنوان النص تطلع إلى التمثل بحال الدودة، لأنها تملك ما لا يملكه الشاعر، تملك الامبالاة فلا تفكر في ظواهر الحياة. واستنادا إلى مضيرات نصية في الأبيات 2و7و12 يبدو الشاعر حائرا بين الشك واليقين، متسائلا عن جدوى الوجود وماهيته. مما يعكس مضمونا جديدا ينأى عن الأغراض القديمة ويغرق في تأمل وجداني منغلسف لكنه الحياة وهو انشداد هندسة النص إلى الإيقاع التقليدي المتناظر المتطرين. لذلك نفترض أن الشاعر ينقل تجربة ذاتية إلى المتلقي تعكس الحيرة والشك وتدعو إلى الانتفاظ بحال الدودة التي لا ترى في الحياة إلا وجودا بسيطا. فهل استطاع الشاعر أن يصب انفعالاته وتأملاته في صياغة جديدة.

اكتشاف المعنى وتكثيفه

في النص أربع تمفصلات دلالية كبرى نعرضها كالاتي:

- الأبيات 1 – 8: مقابلة الشاعر حاله بحال الدودة، فهو ضعيف مضطرب الأحوال، متقلب بين الشك والإيمان، يجري نحو النهاية متعثرا يائسا، والدودة مطمئنة إلى حالها تنعم بالسكينة والهدوء.
- الأبيات 9 – 15: تطلع الشاعر إلى سكينة الإيمان والفطرة وهدوئها، ونفوره من وساوس الفكر ومتاعب الوجدان.
- الأبيات 16 – 18: معاناة الشاعر بين حال القلب (التسليم) وصوت العقل العنيد (الشك) معاناة يصورها في التساؤل عن أسرار تساؤلا لا يجد له جوابا.
- تأكيد الشاعر تساوي المخلوقات في المرتبة ما دام مصيرها واحد، وإن كانت مختلفة في المظاهر.

لعل في استدعاء الشاعر للدودة ومناجاتها بيانا لماهية الذات عنده، فهي بؤرة التجارب الحياتية، ومصدر التأمل في الحياة والطبيعة والكون، إنها محك لطرح أعمق الأسئلة الوجودية والفلسفية. ومن ثم يتضح أن موقف الشاعر النظر إلى مختلف الكائنات الحية من منظور وحدة الوجود، وهي فكرة فلسفية أكد عليها الفيلسوف الألماني هيجل.

التحليل

يتوزع معجم النص على حقلين دلاليين: حقل الذات (حال الشاعر)، وحقل الطبيعة (حال الدودة)

حقل الذات	حقل الطبيعة
أجري – جسمي الفاني – نعشي وأكفاني – عمري الفاني – أحزاني – متعثرا – أجتاز – الآفي – إيماني – وجداني – أزحف – عيشي – جاهل – عمري – راكضا – أضناني – مستسلما – آمالي – أضباحي ...	تدبين – دبيبك – أنت عمياء – أختاه – ألوان – أشكال ...

نلاحظ هيمنة ألفاظ حقل ذات الشاعر، وهذا راجع إلى التركيز على تجربة ذاتيه متعاهة وجودية هو حال الدودة. والمواد المعجمية متداولة مألوفة، ومنبثقة من ذات الشاعر وليست مستوحاة من ذاكرته. وقد اتسم معجم النص ببعد فلسفي يعكس البعد الداخلي لدى الشاعر (الشك في جدوى الحضارة الصناعية الحديثة – الإيمان – بوجود مطهي للإنسان مغيب تحتضنه الطبيعة(الدودة). فالمعجم إذن وليد التجربة، وهو مكون يعمل الشاعر من خلاله على كشف هواجس ذاته المترنحة بفعل ما طرأ عليها مما غير سيرها الطبيعي.

القصيدة من بحر الطويل بقافية وروي موحدين ومطلع مصرع مما يعكس استمرار الولاء للشكل الموسيقي القديم. وهيمنة صوت الياء الواصلة لحركة حرف الروي توفر جرسا موسيقيا تدعمه حركة الكسرة لتجسيد انكسار الذات وهو يتأمل مظاهر الطبيعة وتبعثا قلقها وحزنها العميق على غياب الاطمئنان عن الذات وحضوره في الطبيعة رغم كون الذات والطبيعة يخضعان لنفس مبدأ الوجود. والجهر والغنة في صوت الروي [ن] يضفيان على القصيدة لحن حزين وشجن يرين على نفسية الشاعر وهو يقارن حاله المخلوط بحال الدودة الطبيعي. وتتشكل الموسيقى الداخلية للنص من بعض الظواهر الإيقاعية كالتوازي " لك الأرض مهد والسماء مظلة " ب 10 والتكرار (تدبين – دب / وفي كل يوم – وفي كل يوم / شاقتا – تضيقا...)، وهذا التوازي والتكرار يلائم تجربة الشاعر الوجدانية الحيلى بالتناقضات. ويحقق دلالة التناظر بين حالي الشاعر والدودة.

بنى الشاعر صوره على آليات التصوير البيانية ومن أمثلتها: " تدبين دب الوهن في جسمي – كنت قصيدا كاملا – أنت عمياء يقودك مبصر " صور قائمة على المشابهة تنقل إحساس الشاعر بالضعف والسقوط والاستسلام أمام حقيقة الحياة التي استخلصها من الدودة التي تتمثل حقيقة الوجود الغائبة على المبصرين (الوجود الكامل الناضج). و"عبث كف الزمان بنيناي"، "أترك أحزاني تكفن أحزاني "، "فكر عنيد يجوب الأرض والجو والسماء" استعارات تجسد المعاني المجردة التي تعكس حالة الشاعر المأساوية، وهي أيضا قائمة على المشابهة وطاقتها الإيحائية أسمو من طاقة التشبيهات السالفة ووظيفتها شحن النص بكل أجواء التوتر الذي يخنق الذات. و"أبني قصورا من هباء" كناية تقوم على علاقة المجاورة، وتدل على عبث الشاعر. ورغم جزئية هذه الصور واعتمادها على قواعد التمثيل البياني التقليدي إلا أنها ليست وصفية تزيينية، بل تعبيرية تخدم تجربة الشاعر، وتنقل أحاسيسه الذاتية وتساهم في بلورة رؤيته الوجودية.

لا يعدم النص إيحاء أخرج الطبيعة من إطارها الجمالي المستنسخ من الذاكرة الشعرية القديمة إلى دلالات تحولت معها إلى سجن للفكر. والمعاني الإيحائية كثيرة في النص(عمياء – مبصر) لفظتان توحيان بمعنى الجبر والاختيار في الحياة.

حضور ضمير المتكلم يوحي بالطابع الذاتي والوجداني لمعاني النص، يعضده الأسلوب الخبري الذي يوجه وظيفة اللغة نحو عقد الائتفال المرتبط بعدها الوجداني والنفسي. وتعكس أفعال الحركة: (تدبين – أجري – أجتاز – راكضا – يقودك – أمشي – متعثرا – أزحف – يجوب...) رصد الشاعر لحركة الطبيعة من حوله رغبة في تجاوز حالة موت الذات بسبب اغتراب أجلها وتقضي العرض فيها. والأسماء الدالة على الوجدان: (آمالي – أحزاني – إيماني – أحزاني – شكي...) وظيفتها نقل حركة الذات المتعاهدة مع الطبيعة، وكشف تناقضاتها وقلقها الوجودي.

وقد تقابلت معاني النص وفق منطق التضاد الذي تتجلى مظاهره في ما يلي:

- التضاد الخارجي : بين الشاعر والدودة حيث حركته السريعة الحائرة مضادة لحركتها البطيئة المليئة بالعبر.
- التضاد الداخلي: بين الشاعر ونفسه، بين همه الوجداني وتطلعه الوجودي.

ويتضح أن التضاد الداخلي هو البنية العميقة للنص، فهناك ذات متمثلة تتناسل في بناء موحد الموضوع والإيقاع، لكون النص بؤرة تتوحد فيها المتناقضات، فالقصيدة عالم فني يعوض عن النقص الشامل في حياة الشاعر، إنها بؤرة التحولات في رحلة ذات الشاعر من الذات غير الطبيعية إلى النص.

التركيب والتقويم

من خلال تحليلنا لهذه القصيدة، يتبين لنا أنها مثلت خطاب سؤال الذات أو ما يعرف بالشعر أو الخطاب الرومانسي حيز تمثيل نظرا لالتزامها بعدة خصائص ومميزات منها:

- حضور الذات في أبعادها الوجدانية والفكرية بشكل جعل منها بؤرة لطرح الأسئلة الوجودية كانت الطبيعة محكا لاختبارها.
- تعبير القصيدة عن المأزق الوجداني للذات بين المادة والروح، بين العقل والإيمان، بين العاطفة والفكر.
- الشعور بالكآبة والحزن والضياع في حياة اجتماعية وإنسانية مليئة بالتناقضات، والحس المأساوي، والقلق الوجودي، والتطلع إلى الطمأنينة والتحرر من سجن الفكر وأسئلته المتعقدة.
- للطبيعة وجود مثالي في أبسط تمظهراتها (دودة) لما تختزله من دلالات وجودية، فكأن الذات لا تكتشف حقائقها إلا عبر تأمل الطبيعة.

وقد عبر الشاعر عن هذه المقصدية الفلسفية بأدوات فنية ظلت أقرب إلى التقليد منها إلى التجديد، وذلك رغم بوجدانية لغتها ووحدة بنائها وموضوعها ووظيفة الصورة الشعرية فيها المرتبطة بحركة الذات.

وعلى مستوى الشكل، أثمر هذا التيار مقومات ومميزات مكتملة وناضجة، لكن تألب التقليديين وردة بعض المجددين وسلطة النقد المحافظ وتماسك الوجود العربي التقليدي والانحياس داخل الذات السلبية القانعة واليائسة والمتألمة والمستسلمة والحالمة الخجولة، جعل من حركة سؤال الذات لا تساير المد القومي الثائر الذي عاشت في كنفه، فانتهت التجربة إلى الاضمحلال.

Moutamadris.ma

إشكالية القراءة

ظهرت حركة سؤال الذات في العالم العربي مطلع القرن العشرين نتيجة عوامل اجتماعية (ظهور الطبقة البورجوازية الصغيرة)، وسياسية (الاستعمار وضعف الطبقة السياسية)، وفكرية (تطلع الجيل الجديد على التجديد)، وثقافية (التبشير بقيم جديدة تعيد الاعتبار إلى الفرد وتسلطه الاداب الأجنبية، خاصة الفرنسية والانجليزية)، كما جاءت تعبيرا عن رد فعل خيال الحركة الإحيائية المزدهرة وخطها التقليدي. ومن سمات خطاب سؤال الذات: الالتفات إلى الوجدان، والاهتمام بالطبيعة، وتطوير وظائف مكونات العمل الأبي لتكثيف نسقه الداخلي، واعتبار الشعر فيضا تلقائيا لمعواطف، والخيال مرتعا للصورة الفنية، والاعتداد بالتجربة الذاتية في صياغة رؤية للحياة والقيم والجمال. ومرجع هذه السمات من شيء من التصوف الديني وتعاليم المسيحية، والنزعات الإنسانية في الادب الغربي، خاصة دعوة الذاتيين إلى المحبة والحرية، وثورتهم الوجدانية على التقاليد الأدبية والاجتماعية والدينية، وتضخيم ظاهرة الغربة وعوالم الحزن والاكتئاب، والحلم بعوالم مثالية كامنة في نقاء الطبيعة وأمرأة ملاك.

والرابطة القلمية واحدة من حركات سؤال الذات، وهي جمعية أدبية أسسها الأدباء العرب المهاجرون في نيويورك عام 1924 برئاسة جبران خليل جبران، وكان ميخائيل نعيمة مستشارا لها، وإيليا أبو ماضي أمينا. استمر نشاطها عشر أعوام. ثم توقف بسبب وفاة مؤسسها وتفرق أعضائها. بنى شعراء الرابطة القلمية روحا جديدة في الأدب العربي، فكان أدبهم صورة للمشكلات الإنسانية، والتأملات الفلسفية، وثورة على المعايير الكلاسيكية، ومخزنا لثقافة واسعة، ونزعات روحانية عميقة. لقد سعى روادها إلى البحث عن معنى جديد للحياة في ظل غربة مزدوجة بحثا تجسد في رفض القديم والتجديد الشعري في المضمون وتطوير الشعر. ومن أعلامها جبران خليل جبران، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة فيلسوف الرابطة (1889 – 1988)، تأثر بأدب التصوف العربي، الشعر الانجليزي (ووردز ورث، وكيتس، وكولريدج، وتشيلي) والروسي (تشيكوف). له مؤلفات في المسرح والقصة والنقد والشعر. منها كتاب نقدي بعنوان (الغربال) وديوان (همس الجفون) ومنه أخذ النص. فما هي مضامين هذه القصيدة ؟ وما خصائصها الفنية ؟ وإلى أي حد مثلت خطاب سؤال الذات ؟

فرضيات القراءة

عنوان النص تطلع إلى التمثل بحال الدودة، لأنها تملك ما لا يملكه الشاعر، تملك الامبالاة فلا تفكر في ظواهر الحياة. واستنادا إلى مضيرات نصية في الأبيات 2و7و12 يبدو الشاعر حائرا بين الشك واليقين، متسائلا عن جدوى الوجود وماهيته. مما يعكس مضمونا جديدا ينأى عن الأغراض القديمة ويغرق في تأمل وجداني منغلسف لكنه الحياة وهو انشداد هندسة النص إلى الإيقاع التقليدي المتناظر المتطرين. لذلك نفترض أن الشاعر ينقل تجربة ذاتية إلى المتلقي تعكس الحيرة والشك وتدعو إلى الانتفاظ بحال الدودة التي لا ترى في الحياة إلا وجودا بسيطا. فهل استطاع الشاعر أن يصب انفعالاته وتأملاته في صياغة جديدة.

اكتشاف المعنى وتكثيفه

في النص أربع تمفصلات دلالية كبرى نعرضها كالاتي:

- الأبيات 1 – 8: مقابلة الشاعر حاله بحال الدودة، فهو ضعيف مضطرب الأحوال، متقلب بين الشك والإيمان، يجري نحو النهاية متعثرا يائسا، والدودة مطمئنة إلى حالها تنعم بالسكينة والهدوء.
- الأبيات 9 – 15: تطلع الشاعر إلى سكينة الإيمان والفطرة وهدوئها، ونفوره من وساوس الفكر ومتاعب الوجدان.
- الأبيات 16 – 18: معاناة الشاعر بين حال القلب (التسليم) وصوت العقل العنيد (الشك) معاناة يصورها في التساؤل عن أسرار تساؤلا لا يجد له جوابا.
- تأكيد الشاعر تساوي المخلوقات في المرتبة ما دام مصيرها واحد، وإن كانت مختلفة في المظاهر.

لعل في استدعاء الشاعر للدودة ومناجاتها بيانا لماهية الذات عنده، فهي بؤرة التجارب الحياتية، ومصدر التأمل في الحياة والطبيعة والكون، إنها محك لطرح أعمق الأسئلة الوجودية والفلسفية. ومن ثم يتضح أن موقف الشاعر النظر إلى مختلف الكائنات الحية من منظور وحدة الوجود، وهي فكرة فلسفية أكد عليها الفيلسوف الألماني هيجل.

التحليل

يتوزع معجم النص على حقلين دلاليين: حقل الذات (حال الشاعر)، وحقل الطبيعة (حال الدودة)

حقل الذات	حقل الطبيعة
أجري – جسمي الفاني – نعشي وأكفاني – عمري الفاني – أحزاني – متعثرا – أجتاز – الآفي – إيماني – وجداني – أزحف – عيشي – جاهل – عمري – راكضا – أضناني – مستسلما – آمالي – أضباحي ...	تدبين – دبيبك – أنت عمياء – أختاه – ألوان – أشكال ...

نلاحظ هيمنة ألفاظ حقل ذات الشاعر، وهذا راجع إلى التركيز على تجربة ذاتيه متعاهة وجودية هو حال الدودة. والمواد المعجمية متداولة مألوفة، ومنبثقة من ذات الشاعر وليست مستوحاة من ذاكرته. وقد اتسم معجم النص ببعد فلسفي يعكس البعد الداخلي لدى الشاعر (الشك في جدوى الحضارة الصناعية الحديثة – الإيمان – بوجود مطهي للإنسان مغيب تحتضنه الطبيعة(الدودة). فالمعجم إذن وليد التجربة، وهو مكون يعمل الشاعر من خلاله على كشف هواجس ذاته المترنحة بفعل ما طرأ عليها مما غير سيرها الطبيعي.

القصيدة من بحر الطويل بقافية وروي موحدين ومطلع مصرع مما يعكس استمرار الولاء للشكل الموسيقي القديم. وهيمنة صوت الياء الواصلة لحركة حرف الروي توفر جرسا موسيقيا تدعمه حركة الكسرة لتجسيد انكسار الذات وهو يتأمل مظاهر الطبيعة وتبعثا قلقها وحزنها العميق على غياب الاطمئنان عن الذات وحضوره في الطبيعة رغم كون الذات والطبيعة يخضعان لنفس مبدأ الوجود. والجهر والغنة في صوت الروي [ن] يضفيان على القصيدة لحن حزين وشجن يرين على نفسية الشاعر وهو يقارن حاله المخلوط بحال الدودة الطبيعي. وتتشكل الموسيقى الداخلية للنص من بعض الظواهر الإيقاعية كالتوازي " لك الأرض مهد والسماء مظلة " ب 10 والتكرار (تدبين – دب / وفي كل يوم – وفي كل يوم / شاقتا – تضيقا...)، وهذا التوازي والتكرار يلائم تجربة الشاعر الوجدانية الحيلى بالتناقضات. ويحقق دلالة التناظر بين حالي الشاعر والدودة.

بنى الشاعر صوره على آليات التصوير البيانية ومن أمثلتها: " تدبين دب الوهن في جسمي – كنت قصيدا كاملا – أنت عمياء يقودك مبصر " صور قائمة على المشابهة تنقل إحساس الشاعر بالضعف والسقوط والاستسلام أمام حقيقة الحياة التي استخلصها من الدودة التي تتمثل حقيقة الوجود الغائبة على المبصرين (الوجود الكامل الناضج). و"عبث كف الزمان بنيناي"، "أترك أحزاني تكفن أحزاني "، "فكر عنيد يجوب الأرض والجو والسماء" استعارات تجسد المعاني المجردة التي تعكس حالة الشاعر المأساوية، وهي أيضا قائمة على المشابهة وطاقتها الإيحائية أسمو من طاقة التشبيهات السالفة ووظيفتها شحن النص بكل أجواء التوتر الذي يخنق الذات. و"أبني قصورا من هباء" كناية تقوم على علاقة المجاورة، وتدل على عبث الشاعر. ورغم جزئية هذه الصور واعتمادها على قواعد التمثيل البياني التقليدي إلا أنها ليست وصفية تزيينية، بل تعبيرية تخدم تجربة الشاعر، وتنقل أحاسيسه الذاتية وتساهم في بلورة رؤيته الوجودية.

لا يعدم النص إيحاء أخرج الطبيعة من إطارها الجمالي المستنسخ من الذاكرة الشعرية القديمة إلى دلالات تحولت معها إلى سجن للفكر. والمعاني الإيحائية كثيرة في النص(عمياء – مبصر) لفظتان توحيان بمعنى الجبر والاختيار في الحياة.

حضور ضمير المتكلم يوحي بالطابع الذاتي والوجداني لمعاني النص، يعضده الأسلوب الخبري الذي يوجه وظيفة اللغة نحو عقد الائتفال المرتبط بعدها الوجداني والنفسي. وتعكس أفعال الحركة: (تدبين – أجري – أجتاز – راكضا – يقودك – أمشي – متعثرا – أزحف – يجوب...) رصد الشاعر لحركة الطبيعة من حوله رغبة في تجاوز حالة موت الذات بسبب اغتراب أجلها وتقضي العرض فيها. والأسماء الدالة على الوجدان: (آمالي – أحزاني – إيماني – أحزاني – شكي...) وظيفتها نقل حركة الذات المتعاهدة مع الطبيعة، وكشف تناقضاتها وقلقها الوجودي.

وقد تقابلت معاني النص وفق منطق التضاد الذي تتجلى مظاهره في ما يلي:

- التضاد الخارجي : بين الشاعر والدودة حيث حركته السريعة الحائرة مضادة لحركتها البطيئة المليئة بالعبر.
- التضاد الداخلي: بين الشاعر ونفسه، بين همه الوجداني وتطلعه الوجودي.

ويتضح أن التضاد الداخلي هو البنية العميقة للنص، فهناك ذات متمثلة تتناسل في بناء موحد الموضوع والإيقاع، لكون النص بؤرة تتوحد فيها المتناقضات، فالقصيدة عالم فني يعوض عن النقص الشامل في حياة الشاعر، إنها بؤرة التحولات في رحلة ذات الشاعر من الذات غير الطبيعية إلى النص.

التركيب والتقويم

من خلال تحليلنا لهذه القصيدة، يتبين لنا أنها مثلت خطاب سؤال الذات أو ما يعرف بالشعر أو الخطاب الرومانسي حيز تمثيل نظرا لالتزامها بعدة خصائص ومميزات منها:

- حضور الذات في أبعادها الوجدانية والفكرية بشكل جعل منها بؤرة لطرح الأسئلة الوجودية كانت الطبيعة محكا لاختبارها.
- تعبير القصيدة عن المأزق الوجداني للذات بين المادة والروح، بين العقل والإيمان، بين العاطفة والفكر.
- الشعور بالكآبة والحزن والضياع في حياة اجتماعية وإنسانية مليئة بالتناقضات، والحس المأساوي، والقلق الوجودي، والتطلع إلى الطمأنينة والتحرر من سجن الفكر وأسئلته المتعقدة.
- للطبيعة وجود مثالي في أبسط تمظهراتها (دودة) لما تختزله من دلالات وجودية، فكأن الذات لا تكتشف حقائقها إلا عبر تأمل الطبيعة.

وقد عبر الشاعر عن هذه المقصدية الفلسفية بأدوات فنية ظلت أقرب إلى التقليد منها إلى التجديد، وذلك رغم بوجدانية لغتها ووحدة بنائها وموضوعها ووظيفة الصورة الشعرية فيها المرتبطة بحركة الذات.

وعلى مستوى الشكل، أثمر هذا التيار مقومات ومميزات مكتملة وناضجة، لكن تألب التقليديين وردة بعض المجددين وسلطة النقد المحافظ وتماسك الوجود العربي التقليدي والانحياس داخل الذات السلبية القانعة واليائسة والمتألمة والمستسلمة والحالمة الخجولة، جعل من حركة سؤال الذات لا تساير المد القومي الثائر الذي عاشت في كنفه، فانتهت التجربة إلى الاضمحلال.

Moutamadris.ma